النشاط الثقافي في العالم

الاتحاد السوفياتي

لمراسل الآداب جليل كمال الدين

تل ابيب والكاريلات الاحتكارية

***

تعم الصحافة السوفيتية حملة ايديولوجية مركزة في فضح حقيقة الصهيونية العالمية ودولتها اسرائيل ، وفيها الرد على الدعاية الصهيونية التي تجاهر بالعداء للاشتراكية ولحركة التحرر الوطني العربية والعالمية على حد سواء . وقد نشرت جريدة « الازفستيا » السوفيتية في احد اعدادها الاخيرة مقالا هاما نورد ترجمة له فيما يلي :

ما ان دوت النداءات الاولى المشؤومة لحرب حزيران ١٩٦٧ ، في الشرق الاوسط ،حتى انقذف سادة الاحتكارات المالية الصهيونية الى تل ابيب على الفور ، من اجل ان يستخلصوا لانفسهم الفوائد من العدوان الاسرائيلي الذي دعمه وشجع عليه استعماريو الولايات المتحدة. واقترح عضو عائلة « روتشيلد » المالية (جان ـ بيرهايلبورن) ، وابراهام فاينبرغ من «اميركان ترست كومباني » واخرون من ملوك البنوك، اقترحوا وعرضوا على الغزاة « خدماتهم » ، حاسبين مقدما الاسهم والفوائد .

وفي اثر حملة رجال الاعمال البانكيرية « الخالصة » ، جاء المتدخلون من حملة السلاح الايديولوجي الصهيوني ، وكان من بينهم، مثلا ، وزير التربية الاسرائيلي س . ليفينبرغ . وكما شاهدت جريدة « لايكس » التي يصدرها المهاجرون اللاتفيون في الولايات المتحدة ، فانه هو بالذات كان من اذاع في المدينة الانكليزية (ايستبورن)فكرة الدعوة لعقد مؤتمر لليهود ، المولودين في لاتفيا ، عند نهاية هذا العام في تل ابيب . وقد تسلم الدعوة رئيس لجنة « حزب الاشتراكيين الديمقراطيين اللاتفيين » في الخارج بورنو كالنين ، وممثلون اخرون لما يدعى بالمنظمات السياسية لمهاجري اللاتفيين . ان اهداف هذا الاجتماع وغاياته واضحة : فبامكان خونة ومرتدي لاتفيا ان يستغلوه للافتاء ، مرة اخرى ، من منابر تل ابيب الاستفزازية ضد الاتحاد السوفيتي .

حسنا ، دعنا الآن نتذكر من كان هذا الليفينبرغ في لاتفيا البرجوازية !

كان سولومون ليفينبرغ بين زملائه في الدراسة في كلية الزراعة بجامعة لاتفيا تلميذا متاخرا في الدراسة ، ولكن عاملا نشيطا في تجمعات الصهاينة . وقد اصبح عضوا في قيادة حزب الصهاينة الموحدين ، ورئيسا لمنظمة « ترومبيلدور » التي انشأها هذا الحزب ، وهي منظمة الصهاينة ـ الفاشيين .

ان ممثلي الجيل القديم من الريغيين يتذكرون جيدا كيف كان غلمان « ترومبيلدور » يخربون منظمات الشبيبة ، ويشوشون ويفرقون الاجتماعات ، ويهجمون على المناضلين الثوريين الذين كانوا يعملون سرا.

ترى ، أوليس من هنا ابتدات القرابة الروحية عند هؤلاء مع المهاجرين اللاتفيين البيض ؟

لقد كان بورنو كالنين هذا ذاته منظما وزعيما دائما « للاتحاد الرياضي العمالي » ، المنظمة العسكرية لحزب الاشتراكيين الدمقراطيين اللاتفيين ، التي اعلنت حربها ضد الشيوعيين والكومسومولين .

ان الكراهية لاولئك الذين ناضلوا ضد الدولة البرجوازية ، وكره مجرد فكرة الشيوعية ـ ها هنا جذر واصول القرابة الروحية للصهاينة الاوربين مع القوميين اللاتفيين !

وحين تهيأ شعب لاتفيا ، بما فيه البروليتاريا اليهودية ، تحت قيادة الشيوعيين لانتزاع السلطة ، كان ليفينبرغ هذا وقد ولى هاربا ، شأنه في ذلك شأن كل من ملأ قلبهم الرعب من تعاظم النهوض الثوري .

ولكن ، كما تؤكد الحكمة الشعبية القديمة ، فما من دواء يفيد ضد الخيانة . ها هو ليفينبرغ ، على كرسي الوزارة في تل ابيب يعمل كل ما في امكانه لاعاقة التطور السلمي في الشرق الاوسط ، ولاشعال نار النزاع في هذه المنطقة من العالم . وحسبنا ان نقول ، انه بموجب اوامر ليفينبرغ ووصاياه ، ينفق ٢٧٢ ساعة في السنة للاعداد الحربي ، في المدارس الاسرائيلية ، ويخصص لتدريس التوراة بمنتهى الروح الشوفينية التعصبية عدد من الساعات يفوق بكثير ما يخصص لدراسة علوم الرياضيات مجتمعة . وفضلا عن ذلك ، فقد ادخل في السنين الاخيرة تدريس ما يدعى « بالوعي القومي » الذي تفوح منه ، على بعد ، رائحة الشوفينية التي تزكم الانوف . أفيستحق العجب بعد ذلك ان الاطفال الاسرائيليين قد اجابوا بالاجماع على سؤال : ماذا سنفعل مع العرب ؟ اجابوا قائلين « نقتلهم ! »

لقد صرح ليفينبرغ عند التقائه بكالنين انه « في وقت عمل هذا المؤتمر في اسرائيل ، سيصدر كتاب « عن مصرع اليهود اللاتفيني » المستند الى بيانات الشهود الوثائقية » . انه ليمكننا مساعدة الوزير الاسرائيلي في تهيئة هذا الكتاب ، وفي تبيان المذنبين الحقيقيين في حوادث القتل الجماهيري للسكان اليهود . فان قائمة هؤلاء القتلة تعني بالذات « ممثلي المنظمات السياسية للمهاجرين اللاتفيين » ، اولئك الذين دعاهم ليفينبرغ الى المؤتمر الوشيك الانعقاد .

وبالمناسبة ، اية منظمات سياسية هذه ؟ ان اهم منظمة فيها هي المدعوة « داوغافاس فاناغي » التي تضم العاملين القدماء في الاس . اس وجنود الفيالق ومجرمي الحرب الآخرين ، الملطخة ايديهم بدماء الناس المسالمين ، بمن فيهم اليهود .

ان احد قادة منظمات المهاجرين « داوغافاس فاناغي » في السويد هو مجرم حرب مشهور جدا يدعى كارليس لوبسي الذي كتبت عنه « الازفستيا » غير مرة . ولقد كان بامكان هذا ان يحكي بالتفصيل في المؤتمر في اسرائيل عن قيادته الشخصية لحملات ابادة اليهود في قضائي كولديغسك وفينتبيلسك في لاتفيا ، وكذلك في منطقة « ستاريا روسا » .

وبامكان شخص آخر ان يقص الكثير على الاسرائيليين ، لغني به الفاشي اللاتفي يانيس تسيرولس الذي كان وكيلا للغستابو ، والذي يتزعم الآن الانتقاميين الجدد في مدينة « كايزر سلاوترن » في المانيا الغربية . فقد خدم هذا ابان الحرب في فيلق « الاس اس » ، وكان رئيسا لقوات الامن . وتحت قيادته بالذات أبيد عدد كبير من السكان المسالمين من اللاتفيين واليهود . والدماء تلطخ يدي مجرم ثالث ، هو شخصية بارزة في منظمة « داوغافاس فاناغي » المذكورة . انه اولعزت مازاركيفيتش ، الذي يعيش الآن في « كايزر سلاوترن » ايضا .

ولعل افضل صيت يتمتع به العاملون في « القضية اليهودية في لاتفيا » هو صيت ادولف شيلدة ، الذي التجا الى المانيا الغربية ، واستقر في مدينة ستوتغارت . وكان هذا كذلك قد شغل منصبا بارزا في « جمعية البلطيقيين في المانيا » وفي « داوغافاس فاناغي » ايضا .

فقد كان احد قادة المنظمة الفاشية « بيركو نكروست » التي تقترن باسمها أسود صفحات لانفيا .

لقد عاث أعضاء هذه المنظمة فسادا منذ الوهلة الاولى لاقتحام القطعان الهتلرية لانفيا . فلقد صار هؤلاء الملهمون الايديولوجيون لكافة اعمال التطهير ، ولاساليب الموت ، وغيرها من الجرائم المرتكبة ضد المواطنين اليهود .

ان غوستاف تسيلمين ، وادولف شيلدة ، وآخرين من « الآباء الروحيين » لمنظمة « بر كو نكروست » قد انشأوا ، بتزعمهم لحركة العداء للسامية ، معهدا خاصا للعداء للسامية ، وهو المعهد الذي جعل هدفه تبرير ضرورة الابادة الجماعية لليهود . ها هم ، اذن ، من نسمح لانفسنا بتسميتهم « ناسا » والذين تلقوا من « الدكتور » ليفينبرغ الدعوة الى مؤتمر اليهود ، المولودين في لاتفيا .

ان المقت الوحشي للشيوعية ، وللمناضلين من أجل السلام وسعادة الشعوب ، والاسرة الاشتراكية ، هو الذي يقرب ما بين « الدكتور » ليفينبرغ وبين ممثلي حثالات المهاجرين اللاتفيين الملطخة ايديهم بدماء صرعى الفيتو .

* * *

لماذا استبعد سولجينيتسين ؟

نشرت وكالة انباء نوفوستي التحقيق التالي :

في تشرين الثاني عام ١٩٦٩ استبعدت منظمة كتاب ريازان الكسندر سولجينيتسين من « اتحاد كتاب الاتحاد السوفياتي » . وقد دعمت هذا القرار امانة سر قيادة اتحاد الكتاب في جمهورية روسيا الاتحادية ، كما ايده ادباء الاتحاد السوفياتي . واستبعاد سولجينيتسين لم يكن مفاجأة للكتاب السوفياتيين . وسبب ذلك هو سلوكه ، واتجاه اعماله المتعارض مع المبادىء والمهمات المنصوص عنها في النظام الداخلي لاتحاد الكتاب السوفياتيين . ان استبعاد سولجينيتسين قد استثار ردود فعل مختلفة في الخارج .

وقد زار مراسل وكالة انباء نوفوستي مقر اتحاد الكتاب السوفياتيين لاجراء مقابلة صحفية بهذا الصدد مع كتاب سوفياتيين بارزين .

***

وجه المراسل سؤالا الى الشاعر سيرغي ميخالكوف : ماذا يمكن ان تقول لنا بصدد استبعاد سولجينيتسين من صفوف اتحاد الكتاب السوفياتيين ؟

س. ميخالكوف

ان استبعاد ا. سولجينيتسين من اتحاد الكتاب السوفياتيين قد استثار العديد من الاصداء في الصحافة الاجنبية . ان المدافعين عن سولجينيتسين ، الذين يمجدونه بصفته مؤلفا « كلاسيكيا » لاعمال « تكشف القناع عن المجتمع السوفياتي » نشرت باللغة الروسية وفي لغات اخرى من قبل مختلف دور النشر الاجنبية ، يعتبرون اخراجه من صفوف اتحاد الكتاب السوفياتيين بمثابة « عار » و « طرائق بربرية » ترتكب ضد الكتاب في الاتحاد السوفياتي .

فما الذي حدث في الواقع ؟

ان الكسندر سولجينيتسين قد قبل ، في حينه ، في صفوف الجمعية الابداعية الطوعية للكتاب ، الذين تجمعهم الرفقة في الافكار ، والذين يعرض النظام الداخلي لجمعيتهم بوضوح مهمات واهداف وحقوق وواجبات اعضائها . ان سولجينيتسين ، بعد ان نشر اعمالا مختلفة في الصحافة السوفياتية ، راح ينشر اثر ذلك مؤلفاته في الخارج ، باللغة الروسية وبلغات اخرى . وهذه الاعمال ، التي لم تكن قد نشرت في الاتحاد السوفياتي ، قدمت في الخارج بصفتها اعمالا يقف الكاتب فيها « بجسارة » و « موهبة » ضد افكار الاشتراكية ، وضد النظام السوفياتي ، وضد كل ما هو مقدس لدى كل مواطن سوفياتي حقيقي .

هذه التأكيدات من قبل مادحي سولجينيتسين لم تكن عديمة الاساس . اذ ان وجهة النظر هذه بالضبط ، اي العداء للافكار الاشتراكية وللنظام السوفياتي ولكل ما هو مقدس لدى المواطنين السوفياتيين الصادقين ، هي التي يعبر عنها سولجينيتسين في اعماله. ولهذا السبب رفضت هيئات تحرير المجلات وادارات دور النشر السوفياتية نشر هذه المؤلفات . وقد رفض ا. سولجينيتسين احداث التصحيحات المقترحة من قبل مجلات « زفيزدا » و « بروستور » و « نوفي مير » ، مفضلا الشكوى في « رسائله المفتوحة » من انعدام ابسط بوادر الاهتمام ازاءه من قبل قادة « اتحاد كتاب الاتحاد السوفياتي » . وهذه الرسائل نشرت ايضا في الصحافة الاجنبية ، وعلق عليها بروح معينة .

وكان ا. سولجينيتسين ، مع بقائه عضوا في اتحاد الكتاب السوفياتيين ، ينتهك بفظاظة النظام الاساسي للاتحاد ، وذلك على حد سواء كمواطن سوفياتي وكأديب ، وكانت مخطوطاته تصل كذلك الى ايدي دور نشر اجنبية ، وكانت دور النشر هذه تنشرها لاغراض معادية للاتحاد السوفياتي . ان ا. سولجينيتسين لم يحتج ابدا ضد هذه الوقائع التي كان يعتبرها طبيعية جدا . وقد اتخذ موقف المناهضة والتعارض التام مع كل اسرة الكتاب ـ رفاق الفكر ، لذلك وعلى اساس النظام الداخلي للاتحاد ، استبعد سولجينيتسين نهائيا من المنظمة .

ان ا. سولجينيتسين لم يكن عضوا في منظمة كتاب موسكو ، الا ان استبعاده قد درس ايضا في الجلسة الموسعة لامانة منظمة ادباء العاصمة . ان ٢٢ اديبا من ادباء موسكو المرموقين ، الذين تكلموا في هذه الجلسة ، قد ايدوا بالاجماع استبعاد ا. سولجينيتسين من صفوف الاتحاد وذلك بسبب نشاط سولجينيتسين المعادي للمجتمع ، ولانتهاكه دستور المنظمة .

ان كل شخص حر في اختيار طريقه . ولكن في هذه الحال ، عليه ان لا يبقى في صفوف الذين ينتهجون طريقا اخرى . اننا ، نحن الادباء السوفياتيين ننتهج طريقا اخرى غير طريق سولجينيتسين . والافضل ان ننفصل . وذلك ما فعلناه .

ووجه مندوب « وكالة انباء نوفوستي » سؤالا الى الشاعر نيقولاي غريباتشوف : في جريدة « التايمز » وصف اخراج سولجينيتسين من اتحاد الكتاب بانه سياسة متخذة لجعله يلزم الصمت .

ن. غريباتشوف

هذا رأي « التايمز » وشأنها الشخصي . ولكن من الذي قال ان « التايمز » قد عبرت عن الحقيقة المطلقة ؟ والواقع انه ما من احد يمسك يدي سولجينيتسين ، ولا احد يأخذ منه قلمه وورقه .

كثيرون هم في بلادنا الادباء والكتاب الذين ينشرون كتبا دون ان يكونوا اعضاء في اتحاد الكتاب . ومن حق الاديب ان يكتب وان يصغي الى تغريد الطيور ، وكذلك فمن حق دور النشر ان تنشر او لا تنشر بعض الكتب . ذلك هو الحال في العالم بأسره . ومن الطبيعي تماما ان تعزف دور النشر عندنا عن نشر كتب من نوع رواية « في الدائرة الاولى » . فهل ثمة اسباب لكي تتصرف على هذا النحو ؟ اجل . ان الكتاب يتضمن قليلا من الادب الحقيقي وكثيرا جدا من الاشياء المفرضة، والحياة تنعكس ثمة في مرآة مزيفة ، واكثر من ذلك ، معادية للسوفيات. وقد نشر الكتاب في الغرب . والامر واضح . فليست العناية بالاعمال الادبية الحقيقية التي تدفع التقدم والثقافة الى الامام ، بل الحماسة لتشجيع الدعاية المعادية للسوفيات ، مع استخدام الوقائع التي يراد ان تكون مثيرة. ولكن لعل من الافضل في هذه الحال ان يكون سولجينيتسين على مقربة من ناشري كتبه ، وان يعيش قربهم ؟ اننا لن نمنعه من تحقيق مثل هذا « العمل من الحرية الشخصية » .

اما بصدد استبعاد سولجينيتسين من اتحاد الكتاب ، فاود القول

بان لكل اتحاد ، وهذا امر معروف تماما في الغرب ايضا ، برنامجه ، ونظامه الداخلي ، ومتطلبات يضعها امام اعضائه . نحن لسنا كتابا بصورة عامة ، اي ذوي صفة مجردة ، بل نحن اتحاد الكتاب السوفياتيين . فمن الواضح اذن اننا قد طالبنا اعضاء اتحادنا بان يستجيب سلوكهم ونشاطهم الاجتماعي واعمالهم الادبية لروح ودستور الاتحاد . لقد استبعد سولجينيتسين نفسه منذ زمن طويل من اتحادنا : انه لا يأخذ في الحسبان نظامه الداخلي ولا برنامجه ، ولا الرأي العام ، وقد اختار سولجينيتسين الصحافة الغربية ، ولا سيما الرجعية ، لتكون محامية عنه . ولما كان الامر كذلك ، ولما كان سولجينيتسين قد فصم روابطه منذ زمن طويل مع اتحادنا بمجمل سلوكه واعماله ، فانه لم يبق امامه سوى كتابة الفصل الاخير . والآن ، وقد فقد سولجينيتسين كل احساس بالواقع ، ينتحب على اكتاف زبائنه والمدافعين عنه ، الغربيين . وهذا شيء ساذج ، وليس له اي معنى ! ان الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي قد طورت وستستمر في تطوير نجاحاتها باتجاه الشيوعية ، اما الرأي العام السوفياتي ـ وهذا اعرفه من اتصالاتي بمختلف جماهير المدينة والريف ـ فهو يؤيد تماما قرار منظمة كتاب ريازان باستبعاد سولجينيتسين .

ووجه مندوب «وكالة انباء نوفوستي» سؤالا الى ليونيد سوبوليف، رئيس مجلس ادارة اتحاد الكتاب في جمهورية روسيا الاتحادية ، وهو : يؤكدون في الغرب ان الديمقراطية حسب زعمهم لم تحترم لدى استبعاد سولجينيتسين . الرجاء ان تقول لنا كيف جرت عملية الاستبعاد ، بكاملها .

ل. سوبوليف

ان سولجينيتسين وحده هو الذي يؤكد ذلك الزعم . والحقيقة انه كان عضوا في منظمة ادباء ريازان . وكان حاضرا لدى بحث قضيته. وقد استمع الكتاب الحاضرون في صبر واناة الى آرائه . لكنه لم يقل شيئا جديدا بعد بحث موقفه منذ ٢٦ شهرا في امانة اتحاد كتاب الاتحاد السوفياتي . وقد اعلنت المنظمة رأيها بالاجماع وهو : استبعاد سولجينيتسين من اتحاد الكتاب . وقدم هذا القرار ، كما يقضي النظام الداخلي ، ليبحث في امانة منظمة كتاب روسيا الاتحادية ، وقد وافق عليه اعضاء الامانة بالاجماع .

ويقول سولجينيتسين ايضا بانه لم يدع في الوقت المناسب الى اجتماع الامانة . مع انه قد انبيء مرتين بموعد الاجتماع ودعي اليه . المرة الاولى قام بذلك فرانز تاورين ، امين سر اتحاد الكتاب في روسيا الاتحادية ، وذلك لاجتماع ريازان ، ثم جرى اعلام سولجينيتسين ببرقية من موسكو .

لكنه لم يحضر ، مفسرا غيابه بادىء بدء بكونه لم يدع ، وحين اتضح عدم صحة ذلك ، ادعى سولجينيتسين بانه « لم يجد متسعا من الوقت » . لكنه وجد متسعا من الوقت لكي يوصل في ذلك اليوم بالذات الى اجهزة الدعاية الغربية « تسجيله » الخاص لمناقشات ريازان .

لقد عني اتحاد كتاب الاتحاد السوفياتي خلال حقبة طويلة بكتابات سولجينيتسين . وفي جلسات امانة الاتحاد تحدث اليه زملاؤه الكتاب باناة وصبر وكرفاق عن الاخطاء المرتكبة في اعماله . واقترحت عليه ثلاث مجلات ادخال تصحيحات ايديولوجية في كتبه . وكان الحديث شريفا ومهنيا . ان مفهومي « موهبة » و « طابع ايديولوجي » لا ينفصلان بالنسبة لنا . ان اربعة وثلاثين من امناء سر اتحاد الكتاب في الاتحاد السوفياتي (وهم جميعا كتاب بارزون من جميع جمهوريات الاتحاد السوفياتي) قد قرأوا بانتباه مؤلفات سولجينيتسين : « جناح السرطان » و « في الدائرة الاولى » و « وليمة المنتصرين » و « كتاب قصص ودراسات » و « قصص حزينة » وغيرها . وجميع اولئك الكتاب كانوا يرغبون رغبة مخلصة في مساعدة سولجينيتسين في الخروج من المستنقع الذي جره اليه حماته الاجانب . ولكن عبثا . فمدائح الغرب كانت بالنسبة الى سولجينيتسين اعز عليه من الحقيقة . وقد قام كتاب موسكو كذلك بتحليل مؤلفاته ونصحوه بصورة مفعمة بالود ايضا بتصحيح اخطائه (وعلى كل حال ، يمكن ان نلمس ذلك حتى من نص التسجيل المختزل الذي نشر في الخارج ، وان كان هذا النص المختصر مشوبا بالنوايا السيئة) . وقد شكر سولجينيتسين ، بريء ، كتاب موسكو على مساعدتهم ، وتابع انخاذ نفس المواقف في الكتابة ، والتصرف غير الوطني وغير الاجتماعي .

لقد اشاع سولجينيتسين في الغرب ان مخطوطات له ، وحيدة ، قد صادرها رجال الامن الوطني اثناء عملية تفتيش لمنزله . وقد اتصلنا رسميا بالنيابة العامة للاتحاد السوفياتي ، التي اجابت بعد استقصاء دقيق ، انه لم يجر اي تفتيش او مصادرة في منزل سولجينيتسين ، وان احدا لم يمس اية مخطوطة من مخطوطاته .

وعلى كل حال ، فقد اعلن سولجينيتسين نفسه في الجلسة الاخيرة لامانة اتحاد الكتاب بانه لم يحدث اي تفتيش او مصادرة في منزله .

الا ان الشيء الاساسي لا يكمن في هذه المزاعم والخدع . فقد اعلنت صحيفة « روسكايا ميسل » (« الفكر الروسي » وهي صحيفة معادية للسوفيات تصدر في الغرب ـ ملاحظة من المترجم) اعلنت هذه الصحيفة جهارا بان رواية « في الدائرة الاولى » موجهة تماما ضد الواقع السوفياتي . فكيف لا يحتج كاتب سوفياتي ، نسب الى احد كتبه هذا الامر ، لا يحتج على صفحات الجرائد ، انقاذا لشرفه ؟ وكيف لا يبرر وضعه امام اصدقائه ؟ ان سولجينيتسين لم يقم بذلك . فلم يبق الا الافتراض بان هذه الضجة العالمية ترضيه .

سؤال :

لقد اعلنت اذاعة الـ ب.ب.ث. (راديو لندن) بان استبعاد سولجينيتسين من اتحاد الكتاب السوفياتيين قد اثار احتجاجات ٦٣ كاتبا سوفاتيا . فهل هذا صحيح ؟

دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع

بيروت - الشام - بغداد

بيروت ، ص. ب : ٢٠٩١ ـ تلفون ٢٩٦٨٠٥

تقدم بفخر

الاتجاهات الوطنية

في الشعر الليبي الحديث

تأليف

الدكتور محمد الصادق عفيفي

هذا الكتاب

يحقق توصيات مؤتمر الأدباء العرب السادس

من حيث أدب المقاومة

الثمن ٩٠٠ ق لبناني او جنيه ليبي واحد ٥٥٠ صفحة

ل. سوبوليف

لا يسعنا ، في هذا الصدد الا ان ننصح اذاعة لندن بان تولي مقدارا من الثقة اقل بمخبريها في موسكو ، وان تنقص ما تدفع لهم من اتعاب على عملهم الرديء ، اذا كانت تدفع لهم .

سؤال :

وصفت جريدة « التايمز » البريطانية سولجينيتسين بانه كلاسيكي الادب الروسي . فما رأيكم في هذا القول ؟

ل. سوبوليف

ان اكثر ما يحزن في هذا الامر ، هو ان هذه « الالقاب الكبيرة » يمنحها اشخاص لا يعرفون ادبنا . وبالنسبة لهم يتلخص عالمنا الادبي السوفياتي الهائل الضخامة المتعدد القوميات ، يتلخص في زهاء عشرة من الاسماء التي تذكر امامها لا مؤلفاتهم ، بل مختلف الفضائح السياسية وحالات الاثارة .

سؤال الى قسطنطين فورونكوف ، سكرتير مجلس ادارة اتحاد كتاب الاتحاد السوفياتي : ما هو موقف المنظمات الادبية في بلاد السوفيات ازاء استبعاد سولجينيتسين من اتحاد الكتاب ومما يسمى « كتابه المفتوح » الى اتحاد كتاب روسيا الاتحادية ؟

ك. فورونكوف

بعد اعلان نبأ اخراج سولجينيتسين من اتحاد الكتاب ، ابدى العديد من الكتاب اهتمامهم ، بهذه القضية ، وهذا امر طبيعي ، واعربوا عن موقفهم ازاءها . ان « الكتاب المفتوح » الذي وجهه سولجينيتسين الى اتحاد كتاب روسيا الاتحادية ، قد لقي شجبا شديدا من قبل الرأي العام . واود ان اقول ، من جهة اخرى ، ان هذه الرسالة ، التي ارخها كاتبها بـ ١٢ تشرين الثاني تلقاها اتحاد الكتاب في ١٧ منه ، في حين انها نشرت في الصحافة البورجوازية الاجنبية واذيعت من الاذاعة الاجنبية بتاريخ ١٥ تشرين الثاني .

ان المنظمات الادبية في بلاد السوفيات ، ومنها منظمات موسكو ، ولينينغراد ، وبيلوروسيا ، وجيورجيا ، ومولدافيا ، وكازاخستان ، وقرغيزيا ، وغيرها ، قد اتخذت في اجتماعاتها وجلسانها العامة ومؤتمراتها قرارات خاصة وافقت فيها بالاجماع على استبعاد سولجينيتسين من صفوف الاتحاد ، وشجبت « كتابه المفتوح » الموجه الى اتحاد كتاب جمهورية روسيا الاتحادية .

ان كتابا كبارا امثال ميخائيل شولوخوف ، وقسطنطين فيدين ، ونيقولاي تيخونوف ، وليونيد ليونوف ، والكسندر تشاكوفسكي ، وغيورغي ماركوف ، وفاديم كوجيفنيكوف ، وليونيد سوبوليف ، وسيرغي ميخالكوف ، وآنيا بارتو ، وبدروس بروفكا ، واراكلي اباشيدزه ، وعدي شريبوف ، وكامل ياشين ، وبيردي كيربابابيف ، وميرزو طورسون زاده ، وميخائيل لوكونين ، وليف كاسيل ، وغيورغي بيريزكو ، ومئات غيرهم قد وافقوا ايضا على استبعاد سولجينيتسين من اتحاد الكتاب وانتقدوا « كتابه المفتوح » في خطبهم او احاديثهم في اتحاد الكتاب .

وقد قال قسطنطين فيدين ، مؤيدا قرار منظمة ريازان ، ان سولجينيتسين قد استبعد نفسه منذ زمن طويل من اتحاد الكتاب ، وانه ينكر في « كتابه المفتوح » الصراع الطبقي في حين انه هو نفسه ، اي سولجينيتسين يصب الزيت لتأجيج هذا الصراع ضد بلاد السوفيات.

وتعليقا على قول سولجينيتسين في اجتماع ريازان انه يبرز في مؤلفاته جروح مجتمعنا ، قال ليونيد ليونوف « شيء جيد ان يبرز هذه الجروح ، ولكن من غير المقبول ان يرش الملح على هذه الجروح » .

وقد قال الكسندر تفاردوفسكي بعد قراءته « الكتاب المفتوح » الذي وجهه سولجينيتسين ان هذا « الكتاب » هو وثيقة سياسية . ولا يمكن ان يكون ثمة شك في ذلك . وهذه الوثيقة مخالفة لسياسة حزبنا ودولتنا . لقد غيرت كليا موقفي ازاء سولجينيتسين كمواطن .

وقال غيورغي بيريزكو

« ان منظمة الادباء قد جهدت، زمنا طويلا، لمساعدة سولجينيتسين، وقامت بتحليل اعماله ، واوضحت له اخطاءه . وكان رده مثيرا للاشمئزاز . اجل ان « كتابه المفتوح » مثير للاشمئزاز تختلط فيه ، على حد سواء ، مبالغة في دوره الاجتماعي ، ووقاحة غريبة بالنسبة لكل ما يحققه الشعب السوفياتي ، و « ثقافة » دنيئة مستهجنة . ان شخصا قليل الثقافة ، او اعمى تماما ، لا يدرك ما يجري في العالم ، هو وحده الذي يمكن ان يتكلم على هذا النحو بصدد الصراع الطبقي » .

وعديدة هي الآراء المماثلة لرأي غيورغي بيريزكو ، التي ادلى بها الكتاب السوفياتيون .

***

يبقى ان نضيف ان سولجينيتسين ، برسائله الموجهة الى حماته الغربيين ، قد ضلل العديد من الاصدقاء الاجانب ، مصورا نفسه على انه ضحية بريئة . وقد انطلت الاكذوبة على كتاب غربيين مرموقين . فوجهوا احتجاجات الى قسطنطين فيدين ، رئيس اتحاد الكتاب السوفياتيين . وقد اوضح لهم فيدين بانهم يتدخلون هكذا في شؤون اتحاد الكتاب السوفياتيين ، وانه ليس من الحكمة العمل على هذا النحو . كما انه لن يكون من الحكمة ان يتدخل اتحاد كتاب الاتحاد السوفياتي في شؤون جمعياتهم ومنظماتهم الادبية . ان قرار اتحاد الكتاب السوفياتيين قد لقي تأييدا من قبل جميع اتحادات كتاب الجمهوريات جمعاء ، والمنظمات الادبية للاقاليم والمناطق حيث عقدت اجتماعات للرأي العام الادبي . ويشجب العديد من الكتاب في رسائلهم الموجهة الى امانة اتحاد الكتاب السوفياتيين موقف سولجينيتسين ، المعادي للوطن وللمجتمع .

ان الكتاب السوفياتيين بحلهم مسألة وجود سولجينيتسين في صفوف اتحاد كتاب الاتحاد السوفياتي قد تصرفوا طبقا لضميرهم الوطني والاجتماعي .

ايطاليا

رسالة روما من نبيل المهايني

القنوط والكارثة بين التاريخ واللاتاريخ

* * *

ظهر في روما وفي باريس منذ ايام فيلم بيير باولو بازوليني الاخير « ميديا » المستمد من تراجيدية يوريبيدس الشهيرة . والجدير بالذكر ان الفيلم قد صور في كل من ايطاليا وتركيا وسورية . وقبل اشهر قليلة ظهر للمخرج الايطالي فيلم اخر هو « Porcile » اي « حظيرة الخنازير » ، والذي قدم في المهرجان الدولي الاخير للسينما في البندقية .

— ١ —

واذا كان بازوليني لجأ في فيلم له — اوديب ملكا — الى الاعتماد الكلي على احداث التراجيديا اليونانية واهبا اياها تفسيرات معاصرة ، فانه في ميديا قد لجأ الى تقص بعيد لاحداث الاسطورة كاملة ، لاحما اياها بايحاءات الكورس ومونولوجات بعض الشخصيات ، ومنقلا اياها ، كما هو بديهي ، بين مختلف امكنة تلك الاحداث .

ومن ناحية اخرى ، فاذا كانت تراجيدية اوديب قد اعطت المخرج الفرصة لمعالجة عقد وحدود شخصية الانسان المعاصر في نفسيته واجتماعيته ووفق تفسيرات فرويدية — ماركسية ، واذا كان هو قد وجد في تلك الشخصية الاسطورية شخصية تعبر تاريخيا وفي حد ذاتها عن لمحة من اللامح التي يطل بها الانسان المعاصر في وجوده على عالمه ، فان بازوليني في تراجيدية ميديا قد ذهب بهذا الانسان الى عالم اسطوري — لا تاريخي ليفهمه في تاريخه وفي وجوده المعاصر ، ومرة اخرى ، سواء عبر تشابك الاحداث ومعانيها او عبر طبيعة الشخصيات في حد ذاتها ، وخاصة ، بل وقبل الجميع ، شخصية ميديا العنيفة .

١ — التطور الديني المتعاكس عبر تطور الشخصيات : ان عنصر

المقابلة الجدلي هو العنصر الرئيسي الذي يعتمد عليه رسم الاحداث في كل افلام بازوليني . وهنا يشكل هذا التطور المتعاكس العمود الفقري للفيلم ، عمود تتركب حوله الاحداث باتجاهيها المتعاكسين :

أ ـ اتجاه احداث التطور الديني لميديا منذ لحظة اكتشاف خرافية دينها البدائي حتى لحظة استعادة القوى السحرية لذلك الدين في اعماقها ، وتنفيذ مفعول تلك القوى في عملية « احراق » بنت كريون والزوجة المقبلة لجيزون ، ومن ثم موت كريون نفسه ، ثم قتل ميديا لولديها واحراق « البيت » .

ب ـ ثم اتجاه احداث التطور الديني لجيزون زوج ميديا الذي خانها بعد ان اخلصت له بمساعدته على سرقة الجلد الذهبي من معبد مدينتها وهربها معه بعد قتلها لاخيها ورمي اوصاله اعاقة لتقدم ابيها وملاحقته اياها مع جيزون وابطال الاراغون . تطور توحي لنا به شخصية السينتاور الذي تعهد جيزون طفلا ، والذي اخذ الملامح الاسطورية ايام كانت له تلك النوعية الالهية الدينية ، لكن ليأخذ بعدها الملامح الانسانية الطبيعية عندما استحال نوعا من فيلسوف مادي يتبدى امام جيزون ـ بعد تركه ميديا ـ جنبا الى جنب مع ذلك القسم الالهي الاسطوري البائد من ذاته والذي اصبح « ابكم » عديم الفعالية ، فيلسوف يعسر له نفسيته وعواطفه بحكمة مادية معاصرة .

ولنر الان شرحا اوفى استوحيته من سيناريو الفيلم ومن الفيلم يساعد على توضيح ما سبق :

أ ـ ... بعد تردد الاخبار عن وصول جيزون ، بدأت ميديا بالذهاب وحيدة للعبادة في مكان المدينة المقدس حيث يوجد الجلد الذهبي رمز المطلق والخلود .. لكن النسوة يدهشن لهذا ، فالقداسة والعبادة قضيتان عامتان مشتركتان وليستا سرا باطنيا مع الذات ... ثم تجثو امام الشجرة المقدسة حيث علق ذلك الجلد وتصلي . انها لم تصل ابدا بمثل هذه الحرارة وهذا الاخلاص ... وترمز لسريان المقدس في اعماقها الموسيقى والاناشيد ، لكن هذه ما تلبث ان تنقطع على حين غرة ليهبط صمت عميق لا طبيعي ويجلل كل الاشياء . وهنا تحاول ميديا ان تفتش عن اسباب هذا الصمت في العالم الخارجي ، والذي ما زالت تراه بكل غموضه الاصلي السابق لايه وضعية او شرط انساني .

لكن وافع خطوات تخيلته يقطع عليها ذاك الصمت اللاطبيعي ، انها خطوات جيزون والذي سبب بروز طيفه في مخيلتها صمت قداسة الموسيقى ... وتسير ميديا هنا وهناك مراقبة كل الاشياء حولها ، والتي كان لها في نفسها وقع عميق وحيوي وهائل . لكن الاشياء لا تجيب على تساؤل نظرتها ، بل تبدو وكانها قد تراجعت الى الوراء ، الى لحظة اللامعنى : تبدو وكانها قد ماتت ... وتدور ميديا بقنوط بين كل تلك الاشياء . الشجرة ؟ انها ليست الا شجرة قديمة كاي شجرة اخرى .. الصخور ؟ الاشياء المقدسة ؟... ان قلق ميديا الان مروع : انها تحس بالجنون في ذلك الصمت وفي فراغ الواقع الطبيعي ، والذي يبدو انه يعرض وجهه الحقيقي مستحيل التفسير ... وتبتسم ميديا على حين غرة ، فان شيئا ما قد مر في باطنها ... وتتحرك واثقة عازمة نحو الشجرة وتمسك بالجلد المعلق عليها محاولة قلعه ...

هذه هي لحظة « الالحاد » التي تهبط على ميديا بظهور ذلك البطل البشري في حياتها ، وهذا هو التحول الذي يطرأ على الاشياء بعد فقدها المقدس .

وتمر ايام السعادة الطليقة المتحررة جنب جيزون الشاب الفرح بشبابه ، والذي يتقبل دون الكثير من خلق المصاعب رفض قريبه ووصي عرشه ارجاع الملك له ، ذلك بعد ان وعده به بعد الظفر بالجلد الذهبي ... ويذهب الزوجان الى كورنثة . وهناك تبدأ المصاعب والآلام . وتمر احداث التراجيدية المعروفة ، ويقرر الملك كريون طرد ميديا : انها الآن لا تعرف ما العمل . وتجلس تحلم او ترى ، عالمها البدائي ، عالم الرعاة يعود الى مخيلتها . ثم يبدأ الحلم الرهيب او الرؤية التي ستقرر مصير حضارة كاملة : تبدأ ميديا « بالحفر » داخل « حجرتها » بقنوط وعناء ، ثم تنتقل « للحفر » في ارض وطنها كولكيديا ... ثم يتبدى لها جدها اله الشمس ليشجعها ... وتبدأ شيئا فشيئا قوى الدين القديم بالانبعاث في باطنها ... وتعود الموسيقى لتسرن صاخبة معلنة انتصار « البدائية » الدينية في اعماق تلك المرأة البدائية والتي اتت في هذا البلد المتحضر المادي دون ان تستطيع التلاؤم مع عقليته ومفاهيمه ... ان الاعماق التي حفرت داخلها خلال الحلم قد تفجرت الان عن قوى رهيبة ...

ب ـ اما الخط الثاني الموازي ومعكوس الاتجاه والمتلاحم جدليا مع الاول ، فهو خط تطور جيزون : ان جيزون قد نشأ طفلا بين احضان السينتاور الخرافي الديني ، والذي علمه الدين وتعاليم الالهة وقوانينها وعلاقاتها . لكن وبعد ان يكبر جيزون ويتطور يبدأ السينتاور بان يأخذ شيئا فشيئا الطابع الانساني ، وتبدأ تعاليمه ان تأخذ الطابع التثقيفي التاريخي ، فالدين هو تاريخ الديانات ، والالهة حلم من اختراع الحضارة الزراعية . وبانقراض الميتافيزيك يظهر الحدث الارضي ، الحدث الذي ينال عبر الشك كعقيدة والتكنيك كطريقة . وهنا يصبح السينتاور تكنيكيا وبيته نوعا من المصنع حيث تتشكل اول سفينة تعبر البحر لتحمل جيزون ورجاله للاستيلاء على الجلد الذهبي في كولكيديا ارض ميديا .

وهنا يشتبك مصير جيزون بمصير ميديا ، ويتغير عالمها وباطنها بعد ان تغير عالمه وباطنه ... وتتالى الاحداث المعروفة حتى لحظة قرار ملك كورنثة ـ اب زوجة جيزون الجديدة ـ بطر ميديا الزوجة المخدوعة المطعونة في حبها واخلاصها .

وتقابل لحظة بدء حفر ميديا في اعمافها لحظة لقاء جيزون مع السينتاور في صيفته الجديدة المزدوجة ، الانسانية والخرافية ، والذي يعلن له بانه ـ بانهما ـ في اعماقه هو ، ثم يشرح قائلا (لا ، انك قد عرفت سينتاورين اثنين . فعندما كنت طفلا عرفت ذلك المقدس ، وعندما اصبحت راشدا عرفت ذاك الاخر عديم القدسية ، وها نحن الان امامك، الاول جانب الثاني) .

وبعد سؤال جيزون عن وظيفة الثاني القديم يجيب السينتاور (انه لا يتكلم بالطبع ، ذلك لان منطقه مختلف تمام الاختلاف عن منطقنا بشكل لا يمكن معه التفاهم . لكني استطيع انا الكلام بدلا عنه . وفي نطاق ارادته فانك انت ـ بعيدا عن وعيك وتفسيرك وادراكك ـ وفي الحقيقة ، تحب ميديا) ـ (انا احب ميديا ؟... لكن وماذا يفيدني معرفة كل هذا ؟) ـ (ليست هناك اية فائدة ، انها الحقيقة) .

وبعدها يسير جيزون الى قصره ، بينما تكون ميديا قد بدأت الحفر في اعماق ذاتها وهي تحلم بانها تحفر في ارض غرفتها . ويطبق الحلم بحذافيره ... ترسل ميديا الثياب المسحورة للزوجة الجديدة فتنتحر ، ثم يلحق بها ابوها فيرمي بنفسه فوقها . ويأتي جيزون ليطلب ولديه من ميديا ، لكنها تكون قد قتلتهما واحرقت البيت ، فيطلب منها اعطاءه جثتيهما لدفنهما ، لكنها تصرخ رافضة من وراء سحب الدخان: اذهب وادفن جثة زوجتك وابيها ... لا شيء ممكن بعد الان . وتكون قد هددته بان كل هذه الآلام ليست شيئا امام آلام « الشيخوخة » التي سيعانيها .

لقد عبر بازوليني عبر شخصية جيزون واقتحام ميديا عليه نفسه عن الكارثة الروحية التي يعاني منها الانسان الغربي اليوم . كما انه وفق في طريقة الاشارة الى معنى « قيمة المقدس » في الدينية المعاصرة. قيمة مركبة يوحي لنا بها ، عنده ، تتبعنا له في افلامه السابقة : ان « المقدس » اليوم هو خليط جدلي متكامل بين الدينية والدين والمادية والجنس . وهو هنا ، بعد ان عبر عنه وقدمه في افلامه السابقة ، يضعه ضمن نطاق الازمة التي وصل اليها ، ازمة لا مخرج منها : فلا شيء ممكن بعد الآن . وآلام الشيخوخة ستكون اعنف من آلام الشباب الذي يرى .

٢ ـ التطور الحضاري وطبيعة الشخصيات : ان الدين هو موقف من الحياة ، وكذلك هي الثقافة . لكن ما هي الحضارة ان لم تكن مجموعة مشتبكة من المواقف تجاه الحياة وتجاه الواقع ؟ وهكذا فان اي تفسير لهذه الناحية لا بد وان ينبع عن الناحية الاولى ، اي الناحية الدينية . وميديا يوريبيدس صراع بين حضارتين ، او بالاحرى بين الحضارة والبدائية (بين المرأة العنيفة ـ الساحرة ـ والرجل العقلاني، وذلك حسب رأي عزيز على النقاد الكلاسيكيين) . فماذا يقول نقاد اليسار اليوم عن ميديا بازوليني ؟ انهم يستنتجون صراعا بين العالم الثالث الذي لم يستطع التلاؤم مع العالم الغربي ، وبين هذا الاخير ، ويقولون ، وبالفعل فان بازوليني قد صور الاول في الاناضول التركية وجبول السورية والبقية في ايطاليا ... لكن ما هذه الا استنتاجات سطحية ، فكورنثة مثلا صورت سواء في مدينة بيزا الايطالية او مدينة حلب السورية ، كما ان مناظر اخرى من « العالم الثالث » صورت في شمال ايطاليا . وانا بهذا لا اود الاشارة الا الى خطأ الاستنتاج فقضية الصراع ما اظنها الا موجودة . وان تتبعا فيلولوجيا لبازوليني كشاعر لا بد وان يوحي بشيء من هذا . وهناك على سبيل المثال في ديوانه (قصيدة في هيئة وردة) قطعة هي (نبوءة) ... وهي مهداة الى جان بول سارتر الذي قص على الشاعر حكاية (علي ذي العيون الزرق) يرى الشاعر فيها قدوم بطل افريقي « علي ذو العيون الزرق » من الجزائر الى روما لزرع مفاهيم جديدة عن الحياة والوجود :

علي ذو العيون الزرق ـ احد الكثيرين من ابناء الابناء ـ سينزل من الجزائر على سفن ـ ذات اشرعة ومجاذيف ، وسيكون ـ معه آلاف من الرجال ـ ذوي اجسام ضئيلة وعيون ـ كلاب الاباء الفقراء .

على زوارق تائهة في ممالك الجوع ـ والخبز والجبن ...

.. ليعلموا البرجوازيين ـ فرحة الحرية ـ ليعلموا المسيحيين ـ فرحة الموت ـ سيهدمون روما ـ وفوق حطامها ـ سيحطون نطفة ـ التاريخ القديم ...

ان هذه الحاجة الى التطهير الشامل والتي جاءت في القصيدة على شكل نبوءة شاعرية ، قد اتت في الفيلم واضحة العنف والمأساوية. فميديا ببدائيتها قد استطاعت احراق المدينة وحضارتها (وما اجمل كنيسة بيزا ذات الطراز الرومي وما أروع اسوار قلعة حلب ذات الطابع التجريدي ، والتي جاءت في الفيلم لتكون اسوار مدينة كورنثة ، وقد كان المخرج ـ الشاعر كلما رآها كل صباح قبل بدء التصوير يقول : انها تزيد جمالا على جمال) .

ومع ان الفيلم كان يجب ان ينتهي كما تنتهي التراجيدية اليونانية اي بتحليق ميديا على عربة اله الشمس مع اولادها (وقد صورت المناظر بالفعل) الا ان بازوليني اراد انهاء فيلمه بصيحة ميديا المروعة « ليس من الممكن اي شيء بعد الان » ، هذا مما اضفى على الختام طابعا اكثر تراجيكية ، واعطى للفيلم كله مسحة ارسخ من القنوط والتشاؤم الحدسي النابع عن الشعور العميق بالازمة الحضارية المعاصرة التي لا تمر بها الحضارة الغربية وحسب بل العالم باجمعه .

***

اما عن طبيعة الشخصيات ، فمن الممكن للقارىء ان يستنبطها من هذه السطور القليلة التي كتبتها حول الفيلم . ان « لامبالاة » و « طلافة » فتوة جيزون وعنف وقنوط ميديا لا بد وان توحي لنا بكثير من ملامح شخصية الانسان الغربي المعاصر في ملافاته لخضم حياته ووجوده .

ـ ٢ ـ

اما عن « حظيرة الخنازير » اي « بورشيلة » والذي ظهر منذ عدة اشهر ، فاقدم ترجمة لمقال لالبرتو مورافيا ظهر في مجلة « الاسبرسو » حيث يكتب مورافيا عادة كناقد سينمائي ، والجدير بالذكر ان حوار الفيلم هو من اشعار المخرج نفسه ، وهذا ينطبق على النسخة الايطالية الاصلية وعلى النسخة الفرنسية اكثر من غيرها ، ذلك ان بازوليني قد اشرف بنفسه على دوبلاج هذه الاخيرة :

(ان ايطاليا هي بلد الاخلاقيين ، وللتأكد من هذا تكفينا قراءة الصفحات الثالثة للصحف اليومية وزوايا النقد في المجلات الدورية . ان المجتمع الايطالي في مجموعه غريب عن الثقافة الغربية والتي يطمح في تشكيل جزء منها ، وان لاحساسيته تجاه القضايا الحديثة يدعوه لاخفاء دهشته وحيرته خلف قناع الاخلاقية . ولنر ، كيما نقتنع بهذا ، الاستقبال الذي قوبل به فيلم « بورشيلة » لبيير باولو بازوليني في مهرجان البندقية من قبل بعض النقاد والكثير من المشاهدين .

هذا رغم ان بورشيلة هو من اجمل افلام بازوليني بعد فيلمي « اكاتونة » و « لاريكوتة » . لكن عيبه الاساسي هو انه عالج موضوعا من اهم المواضيع في العالم المعاصر : لا امكانية العيش او التعبير عن النفس من قبل فرد « مخالف » او وبكل بساطة « مختلف » في المجتمعات الفاسدة (واخرون يقولون مضطربة) والتي تخلق التابو ، ليس لحماية الثقافة (كما هو الامر في المجتمعات البدائية) بل لحماية المصالح ، وان كان هذا يؤدي في النهاية الى خنق الثقافة .

ويوجد في « بورشيلة » قصتان متداخلتان ومتكاملتان ، احداهما تجري في المانيا الحديثة ، والاخرى في بلدة خرافية جنوبية مرسومة عبر تخيل خرافي للقرن السادس عشر كاثوليكي اسباني . ومن البديهي ان ما يهم بازوليني ما هو الا الحكم التاريخي ، وهكذا فان القصة الاجرامية للقرن السادس عشر تنير بطريقة « لا تاريخية » القصة التاريخية الاجتماعية للعهد النازي ، والتي تنير بدورها وبطريقة « تاريخية » القصة اللاتاريخية الاولى . اما السؤال الدائم فهو ، لكن لماذا النازية ؟ ويجيب بازوليني بان النازية كانت لان المصالح كان عليها ان تؤمن حتى ولو تحت خطر الوصول لاكل اللحم البشري .

فما هي القصة ؟ اننا نرى في قصة القرن السادس عشر شابا يهرب ـ بعد ان قتل اباه ، اي بعد اتجاهه ضد مؤسسة جوهرية ـ في عزلة ووحدة مؤسية قرب فوهات البراكين ، وهذا رمز للعزلة والوحدة المعنوية المشابهة ، وهناك يبدأ بالتغذي باللحم البشري بعد قتله المارة . وبعد القبض عليه يصدر الحكم بتقديمه طعاما للذئاب . اما في القصة المعاصرة ، فان المجتمع هو آكل لحوم البشر ، المجتمع النازي الذي غذته الجثث . ويتمرد البطل على مجتمع مماثل ، ما زال كما هو حتى اليوم ، بتفضيله على الحب الانساني العلاقة الجنسية مع الحيوانات . وبما انه عشيق خنزيره ، فان الخنازير في النهاية تلتهمه عن آخره .

ان طابع الاتحاد في الفيلم ينبع عن التداخل التام للعناصر التي تؤلفه . فمن ناحية معينة ، هناك مجتمع تقليدي يجبر « المختلف » على أكل اللحم البشري ، ومن الناحية الاخرى هناك مجتمع آكله لحوم بشر يجبر « المختلف » على الحب الحيواني (تزوفيليا). وفي كلتا الحالتين فان ما يهمنا ليست صفة المجتمع ، لكن قضية وجود المجتمع ، وهذا شبيه بالقول بان كل المجتمعات هي آكلة لحم بشري ... ان أكل اللحم البشري هنا مرئي دون اية سقامة ، وعلى انه كارثة اخلاقية وتاريخية . وهنا يأتيني ان استشهد بشوبنهاور اذ يقول (ان الظلم بصورة محسوسة يتبدى لنا ، بشكله الاصوب والاكمل والاقرب ، عبر اكل اللحم البشري، وهذا هو طرازه الاكثر وضوحا ، حيث الصورة البشعة للتناقض الاوسع بين الارادة وذاتها تبدو في كونها الموضوعي والذي هو الانسان) ...

لقد كان من الافضل ، ربما ، ان يروي بازوليني لنا بواسطة الصور عن حياة وعشق وميتة العاشق الحيواني ذاك ، والمأخوذة ، ان لم نخطىء ، عن صفحات Krafft - Ebing - Psychopathia Sexvalis

ان السينما هي سمعية ـ بصرية دون شك . والمخرج المسرحي لا يلجأ الى رواية الحدث بدلا من تمثيله الا عندما لا يستطيع ذلك ، اما السينما فتستطيع .

ولقد عرف بازوليني كيف يحرك الممثلين للاتيان بنتائج تعبيرية حكيمة كما قال (البرتو مورافيا) .

نبيل مهايني